نمط اشتغال صيغ الخطاب في "المقامات الريانية "
قراءة في" المقامة العمرية" لشرف الدّين الحسين بن سليمان ابن الريّان (702هـ-770هـ)

د.صباح غرايبية
قسم الآداب واللّغة العربية
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

ملخص:
تبحث هذه الدراسة في كيفية اشتغال الصيغ السردية في نص " المقامة العمرية" لابن الريان ، باعتباره نصا يمثل وجها من وجوه النثر في العصر المملوكي .

Résumé:
Cette étude examine comment le fonctionnement des Modes narratives dans "AL MAQUMA EL OMARIA," dont le texte a été écrit par Ibn Al-Rayyan, comme un texte représente une facette de la prose à l'époque mamelouke.

مقدّمة:
تعد الدراسات السردية من أهم المنافذ التي تتيح للباحث إمكانات إجرائية مضبوطة ، تمكنه من سبر أغوار النصوص ، والوقوف على بنيتها وتجليات أفكارها ومضامينها . لا سيما تلك التي تضرب بجذورها في التراث العربي القديم. ولعل لصيغ الخطاب من الخصوصية ما يجعلها مفتاحا يشي بمستغلقات النص، ويكشف عن أسرار صاحبه وقدرته على التنويع و التبليغ .

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1،الجزائر2016

أولا: الصيغة السردية المفهوم والتجليات ":

تشتق لفظة "الصيغة " من الجذر اللغوي (ص ي غ) الذي يحيل على معنى "الهيئة التي بني عليها الأمر(1)؛ أي الصورة والكيفية "كما تدل على فعل اللغة الذي تُنتج بواسطته تعابير مطابقة للقواعد النحوية بفضل المعجم المستعمل "(2)، أي الشكل اللغوي الذي يوافق القاعدة النحوية ويؤدي دلالة مخصوصة .

ولعل هذا يتقاطع مع المعنى النحوي لمادة "Mode" في قاموس ليتريه(Littré) بوصفها " اسم يطلق على أشكال الفعل المختلفة التي تستعمل لتأكيد الأمر المقصود ، وللتعبير عن (...) وجهات النظر المختلفة التي ينظر منها إلى الوجود أو العمل "(3) وهو المفهوم الذي تبناه جيرار جينيت . G) (Genette ليقدم تعريفه للصيغة السردية التي تبنى عنده على دعامتين هما " المسافة والمنظور " اذ تمثلان بالنسبة له صيغتي تنظيم الخبر السردي . وتشير الأولى إلى التنظيم الكمي للخبر،في حين تحيل الثانية على تنظيمه الكيفي . "(4)

إذا فقد استعار السرديون "مصطلح الصيغة من علم النحو ، للإشارة إلى جملة من المسائل المتعلقة بتنظيم المعلومة السردية "(5) ،فهي عندهم " مجموعة الموجهات المنظمة للمعلومات السردية "(6) . ثم ضبط مفهوم "الصيغة " في السّرديات البنيوية على أنها "الكيفية التي يَعرض بها السّارد القصة، ويقدمها"(7) ، وهي في أبسط مفاهيمها "طريقة الإرسال؛ أي كيف يقدم لنا السّارد المادة"(8).

وقد نوقشت مسألة الصيغة لأوّل مرة عند أفلاطون (Platon)(9) ، ومن ثمة تداول الدارسون على البحث في صيغها وطرائقها . ففي حين يذهب أصحاب الاتجاه البويطيقي إلى وجود شبه إجماع على أن أرسطو(Aristotle) و أفلاطون؛ هما أوّل من وظفها (الصيغة)؛ وإن اختلفت طرقهما تبعا لفهم كل واحد منهما للأدب كمحاكاة.يربطها كل (تودوروفTodorov. T)، جينيت،وويلي ويرنوف) بهنري جيمس (Henry James) ، وبيرسي لوبوك(P.Lubbock) في كتابهما صنعة الرواية. أما الباحثة "سوزان رينجلر "فقد أشارت إلى أن من أدخل الصيغة إلى مجال النقد هما" ويلين، ووارين"warren" ، وليس جيمس أو لوبوك أو بيتش (Beach)عند الشكلانيين الروس(10).

وفي ظل هذه الأبحاث و الدراسات تجلت الصيغة بشكل سلس وواضح في التصور الذي قدمه جيرار جينيت " الذي مثل لحظة فارقة في تاريخ الدراسات الأدبية الحديثة ، لأنه أقام للسرديات بناء خاصا وتصورا متكاملا" (11). و تتحدد منطلقاته في كتابه خطاب الحكاية، ولاسيما في ما تعلق بحديثه عن المسافة" La Distance " والمنظور أو كما يسميه التبئيرات "Focalisation"؛ حيث ألمح إلى أن القضية قد أشار إليها في البداية أفلاطون ؛عندما أقام التعارض بين صيغتي الحكي (/ Diégésis Mimésis).فعندما يتكلم الشاعر باسمه (.....) فهو الحكي التام "Récit pur". وعندما يجتهد الشاعر أن يشعرنا أنه ليس المتكلم، فيعطي الكلام للشخصيات فهي حينئذ (المحاكاة). وبناء على ذلك توصل إلى أنّ الحكاية الخالصة أبعد مسافة من التقليد فهي تقول أقل منه وبطريقة أكثر وساطة .كما أنه لم يغفل جهود أرسطو الذي حيّد هذه الثنائية، وجعل السّرد والعرض مجرّد تنوّعين.

وفي سعيه لضبط مفهوم الصيغة السّردية "Le Mode Narratif" على أنّها "تقديم السرد أو الإخبار ودرجاته" أحال على نمطين من الحكي:

أولا / يمكن للحكي أن يقدم للقارئ درجة أقل أو أكثر من التفاصيل، وبطريقة مباشرة بهذا الشكل أو ذاك، وهكذا فعل الحكي ، يمكن أن يظلّ على مسافة مما يقدمه الحكي.

ثانيا/ يمكن للحكي أن يختار طريقة لضبط الإخبار "Information" الذي يرسله حسب إمكانية المعرفة لهذا الخبر أو ذاك، وهو ما يرتبط بوجهة النظر(12).

وانطلاقا من قاعدة التمييز بين صيغة العرض و الحكي، قدّم جينيت تمييزا آخر تمثل في .

- محكي الأحداث "Récit D'évènements": يتضمن كلام السارد.وفيه تكون الصيغة هي الحكي. وتقوم بوظيفة الإخبار عن أحداث ووقائع

- محكي الأقوال "Récit de Paroles":و يتضمن خطاب الشخصيات. وفيه تكون صيغة السرد هي العرض.و تقوم بوظيفة نقل كلام الشخصيات. وقد توصل بعد ذلك إلى تمييز ثلاثة أنواع من الخطابات:

1-الخطاب المسرود "Narrativisé": وهو الأبعد مسافة، عندما يقول بطل القصة [وأخبرت أمي بعزمي على الزواج من ألبرتين] ، فإن الأمر إذا يتعلق بالأفكار لا بالأقوال. والملفوظ "enoncé" يمكن أن يكون أكثر اختصارا، وأكثر دقة من الحدث العام [قررت الزواج من ألبرتين] ويمكن اعتباره حكي أفكار ، أو خطابا داخليا مسرودا

2-الخطاب المحوّل "Transposé" / أو الأسلوب غير المباشر: عندما يقول البطل [أقول لأمي بأني حتما سأتزوج من ألبرتين] ، فهذا الشكل أكثر محاكاة من الخطاب المسرود، وقوامه أن يحتفظ السارد بمضمون الكلام، ولكن بإدماجه نحويا في قصة السارد ("قال لي، شرح لي، حدّثني...."

3 -الخطاب المنقول /أو الأسلوب المباشر: وهو الشكل الأكثر محاكاة، [قلت لأمي: يجب مطلقا أن أتزوج من ألبرتين]* ، حيث يترك الكلام للشخصية مباشرة، وينقله كما تلفظت به أي بشكل حرفي ، تماما كما في أمثلة "حالة الحوار، والمونولوج" .

ويشير بعد ذلك إلى العلاقة بين خطاب العرض المباشر "Immédiat"والخطاب المنقول، والخلط الذي يتم بينهما. ذاهبا إلى أن التمييز بينهما يكون عن طريق تبيين مدى حضور أو غياب المدخل المنقول عن الراوي. وقدم نمطين هما:

-الخطاب المنقول: يتكلم فيه الراوي بصوت الشخصية ، أو أن الشخصية فيه تتكلم بصوت الراوي.

- خطاب العرض المباشر: يمحّي الراوي تماما، وتعوضه الشخصية.(13)

ثانيا- المقامات الريانية قراءة في المضمون والقيمة : يشير محمد ابن إبراهيم الدوخي* صاحب التحقيق إلى نسبة المقامات الريانية "لشرف الدين الحسين بن سليمان بن الريان " ،فهي وجه من وجوه الأدب في القرون الوسطى ؛ وذات قيمة ثمينة لأنها تعنى بنثر أديب من أدباء العصر المملوكي ... جانب منها شيء مما يدخل في السحرية و العجائبية (14)

أما "المقامة العمرية "فهي المقامة الأولى في ترتيب المقامات، سميت بذلك نسبة للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وقد تناولت لمحة عن عدله في قضائه بين رعيته ،وتحكي خبر احتكام شابين قتل أحد الفتية والدهما ، وتبين اتساع صدره - ضي الله عنه- لسماع الطرفين ، وكيف أنه أمهل المدعى عليه حتى لا يضيع حق اليتيم الذي يكفله .كما تجسد هذه المقامة بعدا أخلاقيا عاليا يتمثل في الوفاء بالعهد ، والعفو عند المقدرة و العدل في الحكم .

ثالثا:نمط اشتغال صيغ الخطاب في "المقامة العمرية" : تتعدد صيغ الخطاب في المقامة العمرية وتتنوع تبعا لمقاصد الراوي ومراميه .

أولا : صيغة الخطاب المسرود :وهو الخطاب الذي يرسله المتكلم وهو على مسافة مما يقوله(15) ويقع في هذا الإطار نص المقامة التي استهلها الريان بقوله :

" **أَخْبَرَنِي مَنْ أَثِقُ بِعَقْلِهِ، وَأَحْكُمُ بِصِحَّةِ نَقْلِهِ، قَالَ: أَغْرَبُ مَا نَقَلْتُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَأَعْجَبُ مَا عَقَلْتُهُ عَنِ الْأَخْيَارِ، مَمَنْ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الإِمَامِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ خَلِيفَةِ الإِسْلَامِ، فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَتَدَبَّرُ أَحْكَامَهُ** " .فهذه المقدمة على اختصارها تحمل في طياتها عدة مؤشرات :

1- مؤشر التوثيق: فالمعهود أن صيغة" حدثنا ... قال" التي ترد عادة في المقامات تدل على أن ما سيقدم بعدها سرد خيالي (16) ،غير أن القارئ في هذه المقامة ؛يجد نفسه أمام عبارة ممثلة لعنصر التوثيق ،خاصة بوجود المؤشر اللغوي " أثق " . إلى جانب ما ورد فيها من دلالات تؤسس لمشروعية هذا التوثيق على هذا النحو :

* **مَنْ أَثِقُ بِعَقْلِهِ، وَأَحْكُمُ بِصِحَّةِ نَقْلِهِ** ⟵ الراوي" ثقة "
* **مَمَنْ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الإِمَامِ** ⟵ الراوي مزامن للحدث " شاهد"
* **يسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَتَدَبَّرُ أَحْكَامَهُ** ⟵ " الراوي عاقل"

2 - مؤشر الغرابة : وهو ما صرح به الراوي الثاني بقوله "**أَغْرَبُ مَا نَقَلْتُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَأَعْجَبُ مَا عَقَلْتُهُ عَنِ الْأَخْيَارِ**"، فمضمون المقامة على ما فيه من الغرابة، يحمل في طياته ما يؤسس لصحته ، ويبعث على تصديقه. استنادا على الحمولة المعرفية والثقافية للقارئ حول ما أثر عن عدل الخليفة وحكمته. ويضطلع بهذا النمط من الخطاب المسرود راويان اثنان هما:

أ- الراوي غير المشارك : وهو الراوي الذي يتخذ مسافة من الشخصيات " ينظر إليها نظرة الراصد الملاحظ لأفعالها من بعيد ، أو نظرة المتتبع لأخبارها فقط " (17) ،وتبعا لوجوده خارج نطاق الأحداث فإنه يتولى تقديمها بصيغة الخطاب المسرود ،ويتمثل في نص المقامة في:

-**ابن الريان** :الذي تبنى هذا الدور منذ البداية فقد أعلن في مستهل مقاماته عن سبب تأليفها وبواعثه فأورد :"**يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ، الْمُعْتَرِفُ بِالتَّقْصِيرِ، الْحُسَيْنُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنُ الرَيَّانْ غَفَرَ اللهُ لَهُمْ،إِنِّي سَمِعْتُ مِنَ الحِكَايَاتِ شَيْئًا كَثِيرًا وَاسْتَحْسَنْتُ مِنْهَـا(ا) مَا لَوْ جَمَعْتُهُ لَكَانَ جُزْءًا كَثِيرًا، فَانْتَخَبْتُ مِنْهَا عَشْرًا، وَانْتَقَيْتُ مِنْهَا غَرَائِبَ لَوْ دَارَتْ عَلَى الأَسْمَاعِ لأَرْشَفَتْهَا خَمْرًا، وَسَبَتْ العُقُولَ بِحُسْنِ بَيَانِهَا، وَإِنْ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا. فَأَوْدَعْتُهَا دُرَرًا، وَأَبْدَعْتُهَا نَظْمًا وَنَثْرًا، وَأَبْرَزْتُهَا فِي صُورَةِ مَقَامَاتٍ جَمَّةِ المَنَافِعِ، حَسَنَةِ المَوَاقِعِ مُشْتَمِلَةً عَلَى غَرَائِبِ البَدَائِعِ وَعَجَائِبِ الوَقَائِعِ.**18"

- **الراوي الثقة :** وهو الذي اخذ عنه الريان لثقته في أمانته ، وقد أعلن عن وجوده منذ البداية فقال "" **أَخْبَرَنِي مَنْ أَثِقُ بِعَقْلِهِ، وَأَحْكُمُ بِصِحَّةِ نَقْلِهِ، قَالَ: أَغْرَبُ مَا نَقَلْتُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَأَعْجَبُ مَا عَقَلْتُهُ عَنِ الْأَخْيَارِ، مَمَّنْ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الإِمَامِ عُمَرَ بْنُ الخَطَّابِ خَلِيفَةُ الإِسْلَامِ، فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَتَدَبَّرُ أَحْكَامَهُ** ".و الراوي الثقة " هو الذي يجد القارئ في طرحه وعرضه أو في تعليقاته على القصة ،مأخذ الاعتبار السلطوي للحقيقة ..."(19) ولعل مبدأ الثقة هنا مستمد من مؤشر التوثيق ،لذلك اكتفى كلاهما بسرد الأحداث و نقل الصورة عن الراوي الشاهد دون التدخل في مجرياتها أو التعليق عليها.

ب/ الراوي الشاهد : وهو الذي حضر مجلس الإمام ونقل الخبر فقال " **بَيْنَمَا الإِمَامُ قَدْ جَلَسَ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ، وَعِنْدَهُ أَكَابِرُ الصَّحَابَةِ، وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالإِصَابَةِ وَهُوَ يَفْصِلُ القَضَايَا، وَيَحْكُمُ بَيْنَ الرَّعَايَا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ...** . ولا يُستدل على اسمه أو هيئته أو مكانته بلفظ صريح بل يُستفاد المعنى والدلالة من سياق الحديث، ومن طريقة نقل ابن الريان له على لسانه باعتباره الراوي الوحيد الشاهد ،فهو الأساس في نقل الوقائع و إثباتها؛ لأن الإحساس بصدق الرواية لا ينبع من الثقة في الراوي ، تلك الثقة المؤيدة بشهادته للأحداث أو مشاركته فيها فحسب؛وإنما ينبع من أن طريقة العرض نفسها تخيل للقارئ كأنه يرى الأحداث المعروضة بنفسه (20) ويمكن تلخيص العلاقة بينهم جميعا على النحو التالي :

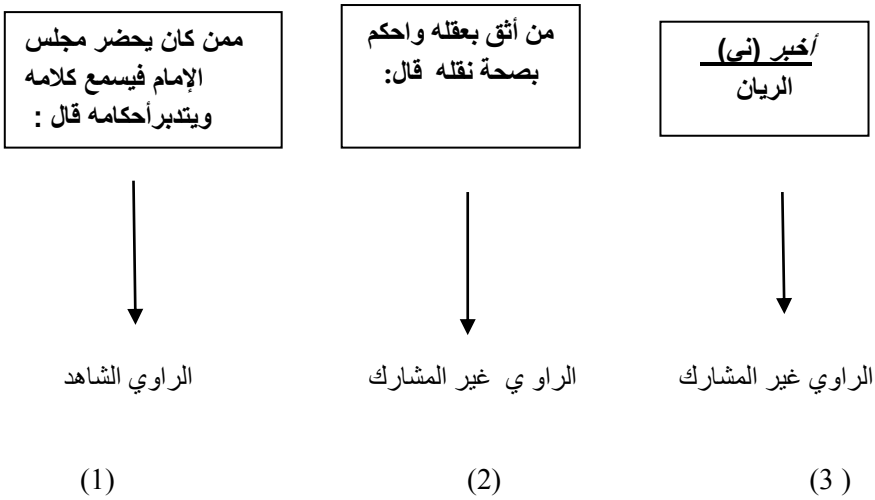

والملاحظ أن الراوي الشاهد قد اعتمد صيغة الخطاب المسرود بغرض الوصف خاصة باعتباره " صيغة إخبار يقدم فيها السارد الشخصية أو يصف الظروف الزمكانية للحدث (21) وقد جسد ذلك عبر محطات هي :

ـ وصف الأجواء وتصويرها: إذ تعين المساحة التي تتيحها صيغة الخطاب المسرود مسافة للراوي الشاهد تمكنه من نقل تفاصيل الحدث وحيثياته وما يحيط به ففيي قوله : " **بَيْنَمَا الإِمَامُ قَدْ جَلَسَ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ، وَعِنْدَهُ أَكَابِرُ الصَّحَابَةِ، وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالإِصَابَةِ وَهُوَ يَفْصِلُ القَضَايَا، وَيَحْكُمُ بَيْنَ الرَّعَايَا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ شَابٌ حَسَنُ الشَّبَابِ، نَظِيفَ الأَثْوَابِ، قَدِ اكْتَنَفَهُ شَابَّانِ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ، وَقَدْ جَذَبَاهُ وَسَحَبَاهُ وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ولَبَّاهُ، فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ، أَمَرَهُمَا بِالكَفِّ عَنْهُ وَدَنَوْهُ مِنْهُ**" "(22) تمكن من تقديم لمحة عن الجو الذي كان سائدا في مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فهو فضاء منفتح على الآخر ،يتسم بالشفافية و الوضوح لاسيما بعدما أكد الراوي على حضور الصحابة الكرام وأصحاب الرأي الأفاضل هذه المجالس التي كان يفصل فيها الخليفة في قضايا الرعية .

ـ وصف الشخصيات : لقد أعانت صيغة الخطاب المسرود المعتمده على فاعلية "العين الباصرة في تسجيل الوقائع و الأحداث و حركات الشخوص و سلوكياتهم ، وبالتالي جعلت المتلقي أكثر إحساسا بالأشياء (23) وأكثر تفاعلا معها. فقد اهتم الراوي برصد الهيئة الخارجية للشخصيات أحيانا ؛فوصف الفتى واتسامه بالحسن قائلا "...**شَابٌّ حَسَنُ الشَّبَابِ**" (24) وفي وصفه للشابين وقوتهما قال " **قَدِ اكْتَنَفَهُ شَابَّانِ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ، وَقَدْ جَذَبَاهُ وَسَحَبَاهُ**"(25) . كما كان اهتمامه منصبا على الجانب النفسي للشخصيات أحيانا أخرى كقوله "**...والغُلاَمُ مَعَ ذَلِكَ ثَابِتُ الجَأْشِ،خَالٍ مِنَ الاسْتِيحَاشِ، قَدْخَلَعَ لِبَاسَ الهَلَعِ، وَنَزَعَ رِدَاءَ الجَزَعِ. قَدْتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ، وَتَقَدَّمَ ثَابِتَ الجَنَانِ وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ وَسَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ حِسَانٍ"(26)**

ثانيا : صيغة الخطاب المسرود الذاتي :وهو صيغة يستعملها الراوي مركزا على ذاته ساردا ما تعلق بماضيها ، فيكون المتكلم راويا شخصية في الوقت نفسه "(27) يجسده في المقامه كل من الشابان والفتى على النحو التالي :

1/ الشابان وقصتهما مع الفتى قاتل أبيهما ، واحتكامهما إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاء على لسانهما :

" **نَحْنُ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ،جَدِيرَانِ بِاتِّبَاعِ الحَقِّ حَقِيقَانِ. كَانَ لَنَا أَبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ، حَسَنَ التَّدْبِيرِ، مُعَظَّمٌ فِي قَبَائِلِهِ وَمُتَنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ، مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ، رَبَّانَا صِغَارًا، وَآعَزَّنَا كِبَارًا،وَأَوْلاَنَا مِنَّا عِزَازًا كَمَا قَالَ:**

أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمِ المَنَاقِبَ

خَرَجَ اليَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَارِهَا، وَيَقْتَطِفُ يَانِعَ ثِمَارِهَا، فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُ، وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ، وَنَسْأَلُ القِصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ وَالحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ"(28).

2/ الفتى وقصة قتله للرجل والد الشابين، واستمالته للخليفة، وقد جاء على لسانه:

"**وَاللهِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَقَدْ وَعَيَا مَا ادَّعَيَا، وَصَدَقَا فِيمَا نَطَقَا،وَخَبَّرَا بِمَا جَرَى، وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَى، وَسَأُنْهِي قَضِيَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَالأَمْرُ إِلَيْكَ**"،**إِعْلَمْ أَنِّي مِنْ غُرَبَاءِ العَرَبِ العَرْبَاءِ، نَبَتُّ بِي مَنَازِلُ البَادِيَةِ،وَضَبَحَتْ عَلَيَّ أُسُودُ السِّنِينِ العَادِيَةِ، فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَهْرِ هَذَا البَلَدِ، بِالأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ، فَأَفْضَتْ بِي بَعْضُ طَرَائِقِهَا، إِلَى المَشْيِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا، وَمَعِي نِيَاقٌ حَبِيبَاتٌ إِلَيَّ عَزِيزَاتٌ عَلَيَّ، فِيهَا فَحْلٌ كَرِيمُ الأَصْلِ، كَثِيرُ النَّسْلِ، مَلِيحُ الشَّكْلِ حَسَنُ النِّتَاجِ، يَمْشِي فِيهَا كَالمَلِكِ عَلَيْهِ التَّاجُ، فَدَنَتْ بَعْضُ النُّوقِ إِلَى حَدِيقَةٍ ظَهَرَتْ مِنَ الحَائِطِ أَطْرَافُ شَجَرِهَا، فَتَنَاوَلَتْهُ بِمَشْفَرِهَا، فَطَرَدْتُهَا عَلَى تِلْكَ الحَدِيقَةِ. فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ وَزَفَرَ،وَتَسَوَّرَ الحَائِطَ وَطَفَرَ، وَبِيَدِهِ اليُمْنَى حَجَرٌ، وَتَهَادَى كَاللَّيْثِ إِذَا فُطِرَ، وَضَرَبَ الفَحْلَ بِذَاكَ الحَجَرِ، فَقَتَلَهُ وَأَصَابَ مَقْتَلَهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الفَحْلَ قَدْ سَقَطَ لِجَنْبِهِ وَانْقَلَبَ، تَوَقَّدَتْ جَمَرَاتُ الغَضَبِ، فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الحَجَرَ بِعَيْنِهِ وَضَرَبْتُهُ بِهِ، فَكَانَ سَبَبًا فِي حِينِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ، وَالمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ، بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً، وَصَرَخَ صَرْخَةً أَلِيمَةً، فَأَسْرَعْتُ مِنْ مَكَانِي جَهْدَ إِمْكَانِي، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ حُضُورِ هَذَيْنِ الشَّابَيْنِ فَأَدْرَكَانِي وَأَمْسَكَانِي وَأَحْضَرَانِي وَهَاأَنَا كَمَا تَرَانِي**" (29)

والملاحظ في هذين المثالين أن صيغة الخطاب المسرود الذاتي التي وظفها الطرفان قد أعانت كل واحد منهما على بيان ما يعتمل في داخله، ولكن مع اختلاف في وجهات النظر؛ فبالنسبة للشابين فالفتى مجرم لقتل والدهما ، أما الفتى فيرى في تصرفه رد فعل طبيعي وجزاء عادلا للرجل الذي قتل الجمل .

3/ قصة الفتى مع اليتيم وطلب الإمهال من الخليفة ، وقد وردت هذه القصة بصيغة المسرود الذاتي وجاء فيها :

" سَمْعًا لِمَا حَكَمَ بِهِ الإِمَامُ وَرِضَا بِمَا اقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ الإِسْلاَمِ؛ لَكِنْ لِيِ أَخٌ صَغِيرٌ،وَكَانَ لَهُ أَبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ، خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَلِيلٍ،وَبِذَهَبٍ كَثِيرٍ جَزِيلٍ، وَأَحْضَرَهُ بَيْنَيَدَيَّ وَسَلَّمَهِ إِلَيَّ وَأَشْهَدَ اللهُ عَلَيَّ، وَقَالَ هَذَا لأَخِيكَ عِنْدَكَ فَاحْفَظْهُ جُهْدَكَ، فَاتَّخَذْتُ لِذَلِكَ المَالِ مَدْفَنًا وَوَضَعْتُهُ، فِيهِ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِ إِلاَّأَنَا،فَإِنْ حَكَمْتَ الآنَ بِقَتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبُ وَطَالَبَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ يَوْمَ يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ.وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، أَقَمْتُ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الغُلاَمِ،وَعُدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ، وَلِي مَنْ يَضْمَنُنِي عَلَى هَذَا الكَلاَمِ . (30)

وهنا ساهمت صيغة المسرود الذاتي في الكشف عن بعض جوانب شخصية الفتى، والمسؤولية التي ألقاها الأب على عاتقه ،مما سهل مهمته مع الخليفة فيما تعلق بطلب الإمهال لثلاثة أيام.و هي المدة التي تكفيه ليوكل بأخيه اليتيم من يتولى أموره ويحفظ ماله .

ثالثا / صيغة الخطاب المعروض غير المباشر :وفيه يتدخل الراوي عندما تتحدث شخصية إلى أخرى ، ويُستدل على هذا النمط من خلال مصاحبات القول " قال ، قالا...." وقد ظهر هذا في أكثر من موضع ومن ذلك :

- **قالا:"أَيْنَ الغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرْ؟ كَيْفَ رُجُوعِمِنْ فَرّ"**
- **فقال أبو ذر :" وَحَقِّجَلاَلِ الله، المُلْكُ العِلْمُ إِنْ انْقَضَى تَمَامَ الأَيَّامِ وَمَا حَضَرَ الغُلاَمُ، وَفَيْتُ بِالضَّمَانِ، وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي وَاللهُ المُسْتَعَانُ"**
- **فقال الإمام عمر: "وَاللهِ إِنْ تَأَخَّرَ الغُلاَمُ لأُصِيبَنَّ بِأَبِي ذَرّ مَا تَقْتَضِيهِ شَرِيعَةُ الإِسْلاَمِ"**

عموما فقد مثلت صيغة المعروض غير المباشر لبنة أساس في بناء المقامة العمرية ، مما أفضى مسحة من المصداقية على مضمونها من جهة وأشاع لذة المشاركة من جهة ثانية ؛إذ يشعر المتلقى وكأنه حاضر يسمع ويرى.

الخاتمة :

تبين بعد رصد أنماط صيغ الخطاب في المقامة العمرية ما يلي :

1/ أن المقامة العمرية نص نثري تبنى نمط الخطاب المسرود المركب لتوثيق الخبر وبيان ما فيه من قيم نبيلة ؛ إذ يتناقل الرواة اللثاني والثالث مضمون الخبر الذي تبنى عليه المقامة ، عن الراوي الأول الشاهد ؛ الذي اعتمد هو الآخر على نمص الخطاب المسرود مشفوعا بالخطاب المعروض غير المباشر لنقل الحدث وتوثيق الخبر .

2/ إن صيغ الخطاب المسرود والمعروض غير المباشر تعمل بشكل متواتر مما أضفى طابع التجانس على بنية المقامة .

3/جسدت المقامة مبدأ التبادل في زاوية الخطاب فما يعد خطابا مسرودا بالنسبة للراوي ، هو خطاب معروض بالنسبة للشخصيات . وما يعد خطابا مسرودا بالنسبة للراوي هو خطاب مسرود ذاتي بالنسبة للشخصية .

الهوامش والإحالات :

1- ابن منظور : لسان العرب. طبعة المعارف . مادة (ص ي غ)

2-سعيد علوش:معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة.دار الكتاب اللبناني.بيروت .لبنان .ط1. 1985 . ص(138)

3- جيرار جينيت:خطاب الحكاية-بحث في المنهج. ترجمة: محمد معتصم. منشورات الاختلاف.الجزائر. ط3. 2003. ص(177) و النص بلغته الأصلية:

"Terme de grammaire. Nom donné aux différentes formes du verbe employées pour affirmer plus ou moins la chose dont il s'agit, et pour exprimer non pas le temps, mais les différents points de vue auxquels on considère l'existence ou l'action. "

ينظر: معجم ليتريه : نسخة الكترونية صادرة عن دار هاشيت ..2014
4-محمد القاضي:معجم السرديات .دار محمد علي للنشر. تونس .ط1. 2010 .ص(278)
5-المرجع نفسه : ص(278)
6-جيرالد برنس: قاموس السرديات .ترجمة السيد إمام .ميريت للنشر .القاهرة .ط1. 2003. ص(115)
7- محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات و مفاهيم . دار الأمان . الرباط. المغرب . ط1 .2010 . ص (109)
8 - محمد علي الشوابكة :السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف – البنية والدلالة. عمان. الأردن. (دط). 2006. ص(135).
9-جيرار جينيت:خطاب الحكاية .ص(178)
10- سعيد يقطين :تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير). المركز الثقافي العربي. بيروت .لبنان. ط3. 1998 ص(174)
11- سعيد يقطين : السرديات والتحليل السردي – الشكل والدلالة .المركز الثقافي العربي. .الدا البيضاء. المغرب .ط1 .2012 .ص(43)
12– ينظر: جيرار جينيت :خطاب الحكاية. ص ص (178- 216).
13- ينظر : المرجع نفسه : ص ص (185 – 191)
* محمد ابن إبراهيم الدوخي : صاحب التحقيق وقد نشر ثلاث مقامات - من أصل العشرة التي حققها - في مجلة الأثر العدد العاشر(مارس 2011) ؛ وهي دورية دولية متخصصة محكمة في الآداب واللغات تصدر عن جامعة قاصدي مرباح - ولاية ورقلة .
14- مجلة الأثر: ص(180)
15-جيرار جينيت :خطاب الحكاية.ص(185)
16- أيمن بكر: السرد في مقامات الهمذاني .الهيئة المصرية العامة(دط).(دت).ص(141) .
17-عبد الرحيم الكردي:الراوي والنص القصصي.دار النشر للجامعات .القاهرة .مصر .ط2 .1996 ص(120)
18-مجلة الأثر : ص(189)
19- يان مانفريد :علم السرد –مدخل إلى نظرية السرد. ترجمة:أماني أبو رحمة.دار نينوى.سوريا.ط1 .2011 .ص(139)
20-عبد الرحيم الكردي: الراوي والنص القصصي..ص(125)
21-يان مانفريد :علم السرد –مدخل إلى نظرية السرد.ص(125)
22- مجلة الأثر:ص(189)
23- عبد الرحيم مراشدة : الخطاب السردي و الشعر العربي. عالم الكتب الحديث .إربد .الأردن .ط1. 2012. ص(23)
24-مجلة الأثر:ص(189)
25- مجلة الأثر:ص(189)
26- مجلة الأثر:ص(190)
27- سعيد يقطين :تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير). ص(133)
مجلة الأثر: ص ص (190،189) . - 28
29- مجلة الأثر:ص 189 .
28- مجلة الأثر: ص .190
29- مجلة الأثر : ص191 .
30 – مجلة الأثر :ص 191.